@ 703 @ ينزفون * وعندهم قاصرات الطرف عين * كأنهن بيض مكنون) ^ يقول تعالى : ^ (إلا عباد ا المخلصين) ^ فإنهم غير ذائقي العذاب الأليم ، لأنهم أخلصوا ا أعمال ، فأخلصهم ، واختصهم برحمته ، وجاد عليهم بلطفه . ^ (أولئك لهم رزق معلوم) ^ أي : غير مجهول ، وإنما هو رزق عظيم جليل ، لا يجهل أمره ، ولا يبلغ كنهه . فسره بقوله : ^ (فواكه) ^ من جميع أنواع الفواكه ، التي تتفكه بها النفس ، للذتها في لونها وطعمها . ^ (وهم مكرمون) ^ لا مهانون محتقرون ، بل معظمون مبجلون موقرون . قد أكرم بعضهم بعضا ، وأكرمتهم الملائكة الكرام ، وصاروا يدخلون عليها من كل باب ، ويهنئونهم ببلوغ أهنأ الثواب . وأكرمهم أكرم الأكرمين ، وجاد عليهم بأنواع الكرامات ، من نعيم القلوب والأرواح والأبدان . ^ (في جنات النعيم) ^ أي : الجنات ، التي النعيم وصفها ، والسرور نعتها . وذلك لما جمعته ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . وسلمت من كل ما يخل بنعيمها ، من جميع المكدرات والمنغصات . ومن كرامتهم عند ربهم ، وإكرام بعضهم بعضا ، أنهم على ^ (سرر) ^ وهي المجالس المرتفعة ، المزينة بأنواع الأكسية الفاخرة ، المزخرفة المجملة ، فهم متكئون عليها ، على وجه الراحة والطمأنينة ، والفرح ، ^ (متقابلين) ^ فيما بينهم ، ونعموا باجتماع بعضهم مع بعض . فإن مقابلة وجوههم ، تدل على تقابل قلوبهم ، وتأدب بعضهم مع بعض فلم يستدبره ، أو يجعله إلى جانبه . بل من كمال السرور والأدب ، ما دل عليه ذلك التقابل . ^ (يطاف عليهم بكأس من معين) ^ أي : يتردد الولدان المستعدون لخدمتهم عليهم ، بالأشربة اللذيذة ، بالكاسات الجميلة المنظر ، المترعة من الرحيق المختوم بالمسك ، وهو كاسات الخمر . وتلك الخمر ، تخالف خمر الدنيا من كل وجه ، فإنها في لونها ^ (بيضاء) ^ من أحسن الألوان ، وفي طعمها ^ (لذة للشاربين) ^ يلتذ شاربها بها وقت شربها وبعده . وأنها سالمة ^ (لا فيها غول) ^ العقل وذهابه ، ونزفه ، ونزف مال صاحبها ، وليس فيها صداع ولا كدر . فلما ذكر طعامهم وشربهم ، ومجالسهم ، وعموم النعيم وتفاصيله ، داخلة في قوله : ^ (جنات النعيم) ^ . لكن فصل هذه الأشياء ، لتعلم ، فتشتاق النفوس إليها ، ذكر أزواجهم فقال : ^ (وعندهم قاصرات الطرف عين) ^ أي : وعند أهل دار النعيم ، في محلاتهم القربية ، حور حسان ، كاملات الأوصاف ، قاصرات الطرف . إما أنها قصرت طرفها على زوجها ، لعفتها ، وعدم مجاوزته لغيره ، ولجمال زوجها وكماله ، بحيث لا تطلب في الجنة سواه ، ولا ترغب إلا به . وإما لأنها قصرت طرف زوجها عليها ، وذلك يدل على كمالها ، وجمالها الفائق ، الذي أوجب لزوجها ، أن يقصر

طرفه عليها . وقصر الطرف أيضا ، يدل على قصر النفس والمحبة عليها . وكلا المعنيين محتمل ، وكلاهما صحيح . وكل هذا ، يدل على جمال الرجال والنساء في الجنة ، ومحبة بعضهم بعضا ، محبة لا يطمح معها أحد إلى غيره . ويدل على شدة عفتهم كلهم ، وأنه لا حسد فيها ولا تباغض ، ولا تشاحن وذلك لانتفاء أسبابه . ^ (عين) ^ أي : حسان الأعين جميلاتها ، ملاج الحدق ^ (كأنهن) ^ أي : الحور ^ (بيض مكنون) ^ أي : مستور ، وذلك من حسنهن وصفائهن وكون ألوانهن أحسن الألوان وأبهاها ، ليس فيه كدر ولا شين . ^ (فأقبل بعضهم على بعض يتسآءلون * قال قآئل منهم إني كان لي قرين * يقول أإنك لمن المصدقين * أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون * قال هل أنتم مطلعون * فاطلع فرآه في سوآء الجحيم * قال تا إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين * أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين * إن ه ذا لهو الفوز العظيم * لمثل ه ذا فليعمل العاملون) ^ لما ذكر تعالى نعيمهم ، وتمام سرورهم ، بالمآكل والمشارب ، والأزواج الحسان ، والمجالس الحسنة ، وصف تذاكرهم فيما بينهم ، ومطارحتهم للأحاديث ، عن الأمور الماضية ، وأنهم ما زالوا في المحادثة والتساؤل ، حتى أفضى ذلك بهم ، إلى أن قال قائل منهم : ^ (إني كان لي قرين) ^ في الدنيا ، ينكر البعث ، ويلومني على تصديقي به و ^ (يقول أإنك لمن المصدقين * أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون) ^ أي : مجازون بأعمالنا ؟ أي : كيف تصدق بهذا الأمر البعيد ، الذي في غاية الاستغراب ، وهو أننا إذا تمزقنا ، فصرنا ترابا وعظاما ، أننا نبعث ونعاد ، ثم نحاسب ونجازى بأعمالنا ؟ أي : يقول صاحب الجنة لإخوانه : هذه قصتي ، وهذا خبري ، أنا وقريني . ما زلت أنا مؤمنا صادقا ، وهو ما زال مكذبا منكرا للبعث ، حتى متنا ، ثم بعثنا . فوصلت أنا إلى ما ترون من النعيم ، الذي أخبرتنا به الرسل ، وهو لا شك ، أنه قد وصل إلى العذاب . ^ (قال هل أنتم مطلعون) ^ لننظر إليه ، فنزداد غبطة وسرورا ما نحن فيه ، ويكون ذلك رأي عين ؟ والظاهر من حال أهل الجنة ، وسرور بعضهم